الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزراة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة 08 ماي 1945 قالمة

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب عربي

الأستاذة: إيمان حراث

المستوى: سنة ثالثة ليسانس

تخصص: دراسات أدبية

الأفواج: (ف1+ف2+ف3)

الحصة التطبيقية التاسعة:

جماليات في كتاب بديع الزمان

الحصة التطبيقية 09

جماليات في كتاب بديع الزمان

إن المقامة عندما وجدت كانت غايتها تعليمية وهذا ماجاء في مقامات الهمذاني حيث كان معلما يلقي دروس اللغة والبيان وتقول الدكتورة "أحلام الزعيم" "على الرغم من القيد الذي ألزم نفسه به من سجع وصنعة وبديع، فقد استطاع أنيأتي بأسلوب رشيق قوامه التناسق والانسجام والعذوبة والسلامة يعرف كيف يختار الكلمات المناسبة، وكيف يضعها في مواضعها من غير نبوا أو شذوذ"[1]. وهذا يعني ان الهمداني عندما ركز على البديع والبيان كان على دراية بمدى تأثيرها على القارئ فينتقي الألفاظ التي تصب في الصميم دون تكلف فيها. وهذا ماسوف يتضح في النماذج والتي تبين مدى استعراضه لهذا الخطاب والأساليب المستعملة داخل مضمونه لكي يصل للأهداف المنشودة من خلاله.

أولا- البيان والبديع

تميزت المقامات بكثرة البيان والبديع فكانا الركيزة فيها حيث نجد الهمذاني استعملها في مقاماته لإظهار قدرته وبراعته اللغوية ومهارته الأدبية فهدفه من توظيفها تعليم الناشئ اللغة العربية الفنية الراقية.

1. البيان

"والبيان هو العلم الذي يطلعنا على أساليب التعبير والتصوير عن طريق التشبيه والاستعارة والكناية مستعملا في ذلك الخيال الخصب لأداء المعنى"يعني انه هو الكاتب يستعمل التشبيه الاستعارة، الكناية لتوضيح المعنى.

❖ **التشبيه:**

تناول الهمذاني وسيلة التشبيه في مقاماته حيث أوزعها على اغلبها، نذكر منها: فمثلا في المقامة الخمرية نجد الهمذاني يستعمل التشبيه في قوله "كأنما اعتصرها من خدي أجداد جدي ... ريحانة النفس وضرة الشمس، فتاة البرق،عجوز الملق، كاللهب في العروق، وكبرد النسيم في الحلوق مصباح الفكر"[2]

[1] أحلام الزعيم، قراءات في الأدب العباسي الحركة النثرية، مطبعة الاتحاد، دمشق، 1990م-1991م، ص 462
[2] محمد عبده، قدم لها وشرح غوامضها: بديع الزمان الهمذاني، ص 273 - 274

فبينما هو يصف الخمر مر على العديد من تشبيهاتتجده أولا شبه الخمر بالمرأة حينما تتزين وذلك عندما قام بوصف الخمر حينما قال افتا" البرق هنا يحدث تشبيه بليغ حذف أداة التشبيه ووجه الشبه لكن ترك كلمة البرق التي تدل على سطوعها عندما تتزين.

وكما شبه بـ عجوز الملق فأراد تشبيه الخمر بالشيخ المسن حينما يضعف ثم يقول كاللهب في العروق شبهه باللهب الذي يحدث عند ما تشتعل النار فحذف أداة التشبيه ووجه الشبه وترك مايدل عليه وهو اللهيب الذي يحدث في عندما يشرب الخمر حتى يصل لقوله كبرد النسيم في الحلوق شبه بالبرد الهادئ فحذف الهواء وترك مايدل عليه وهو برد النسيم.

كذلك نجده يستعمله في المقامة المضيرية حيث يقول "هات الإبريق... انظرإلى هذا الشبه كأنه جذوة من اللهب أو قطعة من الذهب"[1] هنا نجده يشبه الإبريق حين يلمع باللهيب وهذا من شدة اصفرار هكأنه النحاس الأصفر، كما شبه الإبريق كأنها قطعة الذهب ثم يواصل في تشبيه حيث نجده يقول كذلك "بالله ترى هذا الماء ما أصفاء ازرق كعين السنور وصاف كقضيب البلور"[2] فهنا يوضح لنا صفاء الماء ونقائه حيث يضرب به المثل بعين السنور في صفائه كما لتأكيد يشبه بقضيب البلور.

كما نرى تجسده في المقامة الأصفهانية "رايته ﷺ في المنام، كالشمس تحت الغمام والبدر ليل التمام"[3] فقد شبه رؤيته للنبي ﷺ برؤيته للشمس حين تكون مختبئة تحت الغيوم فثم تكون واضحة ونستطيع مشاهدتها ثم شبهه بالبدر حين يكتمل ويكون واضحا في ليلة اكتماله.

وكما جاء في المقامة السجستانية حين شبه السوق في تلك الأيام بالقلادة فاصل الجملة أنا لمحلات كانت مصطفة وتتوسطهم الساحة ك القلاد توهو تصوير السوق كالقلادة يعني وتعزيز على المعنى ثم يواصل تشبيهه في قوله "والانلما أسفر صبح المشيب"[4] هنا شبه الشيب بالصبح عندما يظهر وهو تشبيه بليغ لتعزيز المعنى.

[1] محمد عبده، قدم لها وشرح غوامضها: بديع الزمان الهمذاني، مصدر سابق، ص 131
[2] المصدر نفسه، ص 232
[3] المصدر نفسه، ص 65
[4] محمد محي الدين شرحها وقدمها: مقامات بديع الزمان الهمذاني، ص 25

المقامة المجاعية كذلك لم تخل من التشبيهات حيث برز التشبيه في قوله "قلت: حالان لا يفلح صاحبهما: فقير كده الجوع، وغريب لا يمكنه الرجوع، فقال الغلام: أي الثلمتين تقدم سدها"[1] هنا يوجد تصوير بياني إذ جعل الفقير الجائع والغريب التائه الذي لا يمكنه الرجوع بالثلمتين في راحة المصاب بهما وفي قوته، فشبه الراحة بالسياج وهما بخرقانه.

ونماذج كثيرة عن التشبيه وتوظيف الهمذاني له ليس عبثا بل كان يعلم أن لديه قدرة الإقناعفيرسم الصورة في نفس وعقل المتلقي من خلال التشبيه لذلك استغله الهمذاني في العديد من مقاماته.

❖ الاستعارة:

كما يوظف الهمذاني لجانب التشبيه الاستعارة لترسيخ الصورة في ذهن المتلقي وتأييد موقفه والأمثلة عديدة توضح لنا قدرة بديع الزمان الهمذاني في تصويره وتجسيدة الصورة المعبرة عنها في ابلغها وأحسنها. وهذا ما نجده في المقامة المغزلية في قوله في البيت الشعري مرهف سنانه مذلق أسنانه تجسيد صورة بيانية وهي الاستعارة حيث شبه المشط بإنسان أدلى بالمشبه وحذف المشبه به وترك احد لوازمه وهو أسنان.

وعلى سبيل المثال في المقامة القريضية يقول "فاستظهرت على الأيام بضياع أجلت فيها يد العمارة، وأموال وقفتها على التجارة"[2] ترمز إلى وجود استعارة مكنية حيث شبه العمارة بالإنسان فحذف المشبه به وترك ما يدل عليه وهو يده وصرح بالمشبه وهي استعارة جميلة ويقول في نفس المقامة "حتى إذا مال بنا الكلام ميله، وجر الجدال فينا ذيله"[3] نجده شبه الكلام بالإنسان الذي يستطيع أن يميل فحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه مال وهي استعارة مكنية.

[1] محمد محي الدين شرحها وقدمها: مقامات بديع الزمان الهمذاني، مصدر سابق، ص 155
[2] المصدر نفسه، ص 7
[3] المصدر نفسه، ص 7 - 8

وكما هو الحال في المقامة البلخية "لايهمني إلا مهرة فكر استفيدها أو شرود من الكلام أصيدها"[1] تكمن الصورة البيانية في قوله شرود من الكلام أصيدها يعني شبه شرود الكلام كالفريسة التي تصطادها وهنا استعارة مكنية حيث شبه نفسه بالصياد فذكر المشبه وحذف المشبه به وترك احد لوازمه وهو الصيد.

وكما يقول في المقامة الكوفية "اغتمض جفن الليل وطر شاربه"[2] فاستعارة مكنية واضحة لان الليل لا يوجد لديه جفن حتى يغمضه فشبهه الإنسان فحذفه وترك احد لوازمه وهو اغتمض.

ونجد في المقامة البخارية "يأخذه القر ويدعه"[3] والمقصود هنا بالقر البرد فتجمدت استعارة مكنية حيث الأخذ يكون للإنسان وليس البرد فحذف الإنسان وترك احد لوازمه وهي صفة الأخذ.

ووظف صورة جميلة ومصدرها استعارة مكنية في المقامة المجاعية في قوله "وحوض ثرثار"[4] إذا الحوض يحدث أصوات كأنها إنسان كثير الكلام فشبه بذلك فحذف المشبه به وترك احد من لوازمه وهو الثرثرة، وفي نفس المقامة يقول "لاحياك الله أحييت شهوات كان اليأس أماتها، ثم قبضت لهاتها"[5] صورة بيانية مصدرها استعارة مكنية في قوله أحببت الشهوات فكان الشهوات تحيا وتموت فحذف المشبه به وترك احد خصائصه.

وفي المقامة القردية يقول يلوي الطرب أعناقهم فشبه الطرب هنا بالإنسان الذي يلوي أعناق هنا كأنها استعارة عفوية لا تكلف فيها . كما نجد يقول " فساقني الحرص إلى ما ساقهم"[6] فجعله على نهج الاستعارة مكنية فتعدد هذه الاستعارات في نفس المقامة كان من وراه رصيد وكم هائل من البلاغة وبارعة الأدبية، ثم يقول "فقد كساني الدهش حلته"[7] هنا استعارة مكنية فشبه الدهشة على أنها تكسو الجسم الجسم بكماله، وكناية في نفس الوقت.

[1] محمد محي الدين، شرحها وفق طبعها، مقامات ابى الفضل بديع الزمان الهمضاني، ص 19
[2] المصدر نفسه، ص 29
[3] المصدر نفسه، ص 90
[4] المصدر نفسه، ص 159
[5] المصدر نفسه، ص 159
[6] المصدر نفسه، ص 113
[7] المصدر نفسه، ص 114

وكما يقول في المقامة الصفرية "وقد أدبته الغربة "[1] صورة بيانية غايتها استعارة مكنية فشبه الغربة بالإنسان إذ جعل الغربة تؤديه فحذف المشبه به وترك احد لوازمه وهو التأديب.

فمن خلال بعض الوقفات التي تجلت فيهم الاستعارة، فاستخدامه للاستعارة يفسر ادركه لمدى تأثيرها في نفس المتلقي. لان في بعض الأحيان المخاطب يفضل الصورة الخيالية لأنها تجعله يغوص في الطبيعة. وعليه نلاحظ أن اغلب الصور التي استخدمها الهمذاني مستنبطة من الطبيعة متجنبا الصور الحقيقية كما نلاحظ أن اغلب الاستعارات التي استعملها كانت واضحة وبسيطة ليست فيها صعوبة في فهمها فهذا راجع لذكاء الهمذاني وقدرته على كيفية التحكم في هذه الصور البيانية وتوظيفها داخل الخطاب والذي كان يريد من خلاله تطوير اللغة كما كان هدفه كذلك منها التعبير على مقاصده وتصوير أفكاره لدى المتلقي فطبيعة الحال كان الهمذاني على دراية من تأثير وقوة هذه الاستعارات في الخطاب.

❖ **الكناية:**

تعتبر الكناية من أهم الطرق التي يريد بها الكاتب أن يثبت المعنى وكما صرح "عبد القادر الجرجاني" في قوله "والمراد بالكناية هاهنا أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجئ إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيؤمن به إليه، ويجعله دليلا عليه"[2] يعني ان الكناية ليست بالضرورة ذكر الألفاظ وإنما هدفها إثبات المعنى فيأتي بالمعنى المناسب لتلك الألفاظ ويسقطها عليها.

وقد وظف الكناية لأنه يريد إقناع المتلقي كما يريد أن يوصل له المعنى البسيط الذي لا يوجد فيه تكلفة وكما نعلم أن الكنايات يكون فيها الغموض ولا تخلو من الانزياحات، ومن الأمثلة عن الكناية الموجودة في المقامات نجده في قوله في المقامة السجستانية "واستخرت الله في العزم"[3] وهنا كناية على الإصرار والحزم في العمل. وفي نفس المقامة يقول "خرق سمعي صوت له من كل عرق معنى"[4] هنا كتابة على شدة الصوت الذي سمعه ومدى قوته، فالصوت الذي وصله جعله يرسم ويتفنن في تعدد المعاني فنلاحظ هنا الهمذاني يقول أن صدى الصوت ووصوله إلى مدى بعيد يكون أكثر أهمية من

[1] محمد محي الدين، شرحها وفق طبعها، مقامات ابى الفضل بديع الزمان الهمضاني، مصدر سابق، ص 261
[2] عبد القادر الجرجاني، دلائل الاعجاز، تح: محمد محمود، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2015م، ص 51
[3] محمد محي الدين، شرحها وفق طبعها، مقامات ابى الفضل بديع الزمان الهمضاني، مصدر سابق، ص 22
[4] المصدر نفسه، ص 22 - 23

المضمون الذي يريد أن يوصل من خلال تلك الصوت تجده يبدع ويتفنن في إيصال المعنى إلى ذهن المتلقي.

وفي المقامة الكوفية يقول كذلك "واركض طرفي إلى كل غواية"[1] انه يسارع إلى كل ماتهواه نفسه دون أن ينظر إلى العواقب الوخيمة فهنا كناية عن انزلاقه إلى الغواية نرى تحكم الكاتب في توظيف ألفاظه فتبرز صنعته وتمكنه من اللغة.

ونجد كناية أخرى في المقامة الكوفية إذ يقول "جمعت للمعاد ذيلي"[2] وهذه كناية عن بداية واستعداد نفسه لليوم الموعود ماذخره من الأعمال الصالحة وكبح نفسه عن شهوات في دنيا هكأنه يستعمل التصوير البطيء لأنه يدقق في تصويره في المعنى.

وفي نفس المقامة يقول "ونبح العواء على أثره، ونبذت خلفه الحصيات،وكنست بعده العرصات"[3] نرى أن كلها كنايات فأولا كناية عن الفراق الذي طال للإنسان عن وطنه فقال كلب ينبح عن إنسان مجهول، أم العبارة الثانية يقول كناية عن فقد الأمل من عودته فرموا الحصى من خلفه العبارة الأخير كناية عن عدم عودته ونسيانه ومحو أثره من الأرض، فتوظيف الهمذاني لكنايات متتالية تدل على إبداعه وبراعته وتحصيله الثقافي.

وفي المقامة المجاعية يقول "أنا عبد الثلاثة فقال الغلام: أنا خادمها لو كانت"[4] يقصد بالثلاثة "أكل الغذاء الأول ثم الحضور المجلس الثاني ثم إذا دخل به الشراب والطرب وانهضم غذاؤه عاد إلى الثالث ثم نام"[5] وهو كناية عن حبه لها وأمنيته على وجودها لكن الفقر يصعب الوصول إليها أما العبارة الثانية كناية على تأكيد الكناية الأول واستعمله الهمذاني لها لتجسيد معنى.
وفي قوله "لاحياك الله أحييت شهوات كان اليأس أماتها ثم قبضت لهاتها"[6] تكمن الكناية في ثم قبضت لهاتها تعبر على تحصره وحزنه عن عدم تحقيق شهوات.

[1] محمد محي الدين، شرحها وفق طبعها، مقامات ابى الفضل بديع الزمان الهمضاني، مصدر سابق، ص 28
[2] المصدر نفسه، ص 29
[3] المصدر نفسه، ص 30
[4] محمد عبده، قدم لها وشرح غوامضها: بديع الزمان الهمذاني، مصدر سابق، ص 149
[5] المصدر نفسه، ص 149
[6] المصدر نفسه، ص 149 - 150

أما المقامة المغزلية يصرح عن الكناية في قوله "دخلت البصرة وأنا متسع الصيت كثير الذكر"[1] كناية عن الشهرة ونلاحظ من هذا المثال عن الهمذاني يستعمل الكناية البسيطة.

وخلاصة القول استعماله للألوان البديعية والبيانية بحوافرها أولا كان هدفه تعليمي محض فجاء على شكل خطاب فكان يستعمل المعاني والألفاظ وطرح الصور البيانية بطريقة فيها نوع من غرابة فلا ننسى انه كان لديه زاد معرفي ولغوي كبير وهدفه الذاتي من كل هذا انه يريد إبراز مكانته وبراعته اللغوية كما انه كان يريد تسلية القارئ إلى غاية التحكم في ذهنه وهذا ما وضحه طنوس وهيب حيث يقول بديع الزمان أحيانا كان يسعى إلى تسلية القارئ كان يريد تعليم الناشئ قواعد اللغة الصحيحة وتطوير اللغة في قالبها الحقيقي دون أن يفقد التوازن بين الشكل والمضمون كان ذكيا في استعماله لألوان البديع والبيان لإظهار مهارته ومخزونه اللغوي كما قلنا أن هدفه تعليمي فنجد بساطة في ألفاظه لكي تصل إلى جميع شرائح المجتمع.

[1] محمد عبده، قدم لها وشرح غوامضها: بديع الزمان الهمذاني، مصدر سابق، ص 190